ورقة عمل بعنوان

قـــــــرأت لك ...

كتبه

أ.د/ السعيد محمد رشاد

أستاذ أصول التربية المتفرغ

كلية التربية – جامعة حلوان

عن كتاب

نقد الأيديولوجيا في التعليم والمجتمع

تأليف

أ.د/ حسن البيلاوى

تقديم

أ.د/ مراد وهبة

صادر عن مركز المحروسة للنشر والخدمات الصحفية والمعلومات

القاهرة ، 2024.

شكر وتقدير

مُقدماً لما كَتب بالشكر والتقدير والاحترام إلى معالي **أ.د/ حسن البيلاوي** على تفضله بإتاحة هذه الفرصة الثمينة لقراءة كتابه الموسوعي الجديد ، الذي وصل إلى القائمة الطويلة لجائزة الشيخ زايد للكتاب في دورتها لعام 2024 – 2025، فرع التنمية وبناء الدولة ، وذلك ضمن ثمانية عناوين من ستة دول، هي مصر والمملكة العربية السعودية ودولة الإمارات العربية المتحدة والمغرب والأردن وسوريا ، وهذا التفضل ليس طارئاً ولا جديداً ولا مستغرباً من مفكر كبير القيمة والقامة هو **أ.د/ حسن البيلاوي** ليعلمنا بالقول والعمل أن العلم رحم بين أهله وهذا هو نبل العلماء.

وعلى غير المعتاد في مثل هذه الحالات أستأذن القارئ الكريم أن أعكس خط السير وأبدأ بالتاريخ الأكاديمي والمهني للمؤلف قبل الكتاب لعل البعض ممن لم يطلع على هذا التاريخ يجد في السيرة الذاتية للمؤلف **(أ.د/ حسن البيلاوي)** ما يجيب عن تساؤلات كثيرة قد تطفو على التفكير أثناء قراءته لهذا الكتاب القيم.

- **فهو أستاذ علم اجتماع التربية كلية التربية – جامعة حلوان.**
- **رئيس لجنة قطاع الدراسات التربوية بالمجلس الأعلى للجامعات (2009–2021).**
- **وكيل أول وزارة التربية والتعليم في مصر ، ورئيسا لقطاع التعليم (2001–2005).**
- **أمين عام المجلس العربي للطفولة والتنمية.**
- **شغل مناصب عدة منها : العميد الأسبق لكلية التربية – جامعة بنها 1990– 1999 في مصر، وعميد كلية التربية 1999– 2001، بجامعة الإمارات، دولة الإمارات العربية المتحدة.**
- **مستشار أول وزارة التربية والتعليم 2006– 2010.**
- **عمل مستشاراً وخبيراً لدى العديد من المنظمات الدولية.**

- **صدرت له بحوث ومؤلفات عديدة في علم اجتماع التربية ، منها : " إصلاح التعليم في العالم الثالث " 1988 ، و "علم اجتماع المدرسة " 1992 ، و " التنمية الثقافية والتنوير " بالمشاركة 2004 ، و " الجودة الشامة في التعليم "2006، و" علم اجتماع التربية المعاصر " بالمشاركة 2011 ، وسوسيولوجيا التربية والتنمية .. تربية متكاملة لتنمية متكاملة 2018 والإثنوجرافيا النقدية 2023".**

- **باحث أول لتقريري المعرفة العربي الصادرين عن برنامج الأمم المتحدة الإنمائي UNDP ، مؤسسة محمد بن راشد آل مكتوم:**

- **تقرير المعرفة العربي للعام 2010– 2011 ، إعداد الأجيال الناشئة لمجتمع المعرفة.**

- **تقرير المعرفة العربي للعام 2014 ، الشباب وتوطين المعرفة.**

- **عمل منسقا ومديرا لمشروعات كبرى في إصلاح التعليم منها: المعايير القومية للتعليم في مصر 2003، والخطة الاستراتيجية القومية لإصلاح التعليم قبل الجامعي في مصر نحو نقلة نوعية (2008/2007– 2012/2011).**

- **أشرف على العديد من البحوث العلمية الجامعية والإصدارات الأكاديمية المحكمة التي يصدرها المجلس العربي للطفولة والتنمية في مجالات سياسات الحماية، والتنشئة الاجتماعية وبناء القدرات، والإعلام، والتنمية وقضايا الطفولة.**

أما عن الكتاب الذي بين أيدينا فهو يقع في 492 صفحة من القطع الكبير ، قام المؤلف بهندسته بعد التقديم والمقدمة في تسعة فصول ثم خاتمة ، ورجع إلى 290 مرجعاً من بينهم 123 باللغة العربية و 167 باللغة الانجليزية .

الكتاب نموذج فذ للإحاطة المدهشة الدقيقة للعلاقة بين التعليم والمجتمع ، وهو مذهل كذلك في نقد الهيمنة الثقافية والأيديولوجية لهذه العلاقة ، وقد كتب بمنهجية علمية أسفرت عن حبكة دقيقة قلما يجدها القارئ فيما قرأ من كُتب .. وقد كان المؤلف واضحا وحريصا على احترام عقل القارئ ، فالمضمون الذي يتطلب كلمة واحدة لا يعبر عنه بكلمتين (القول بمقتضى الحال)، فضلا عن عرض الأفكار بجرأة وشجاعة، وفي تسلسل منطقي يضع القارئ – رغما عنه – في إطار بالغ التشويق والإثارة ، وهو يتعامل مع ثلاثية الثقافة والتربية والأيديولوجية، وعلاقة هذه الثلاثية بالتنمية .. وقد أكد أن السبيل إلى ذلك لا يكون إلا بنشر التنوير وإعمال العقل، كما حدد غايته من قراءة هذا الكتاب في إيجاد حالة من الحوار الجاد المثمر في إحداث تغيير تكون نتيجته التنوير وإعمال العقل.

الفصل الأول

في ضرورة النقد:

المعنى والمنهج

إذا أردت أن تعرف معنى النقد وأهميته فاقرأ هذا الفصل باعتباره يمثل المدخل المنهجي لهذا الكتاب .. وفيه توضيح للأسس النظرية للنقد استقاها المؤلف من فلاسفة كبار هم : أنطونيو جرامشي، وجون ديوي ، وباولو فريري، ومراد وهبة؛ ليؤكد أن النقد في هذا الكتاب ليس مجرد نقد أفكار ؛ لكتاب أو لكتابات معينة ، بل نقد البني الثقافية والاجتماعية المهيمنة بقوة الأيديولوجية .. هي نقدية ديالكتيكية تختلف عن نقدية مدرسة فرانكفورت الشهيرة، ونقدية مذاهب ما بعد الحداثة ومذاهب التعددية الثقافية .

الفصل الثاني

الثقافة والتربية والأيديولوجيا

استهل المؤلف هذا الفصل بالسؤال التالي:

ما الثقافة وما التربية، وما الأيديولوجيا وما العلاقة بينها؟ وما فاعلية تأثير هذا الثالوث في التنمية والمجتمع؟ وتحت أي الشروط يحدث التغيير الثقافي ، ويصبح التنوير نسقاً ثقافيا مغايرا؟

فعرف الثقافة ليس استناداً إلى علماء الأنثروبولوجيا في البيراديم الوظيفي، ولكنه استند على الإبستمولوجي، معتبراً الثقافة هى البنية المفاهيمية للعقل ، وتتجسد هذه البنية المفاهيمية للعقل، في لغة، ومعتقدات ومفاهيم، وإدراكات ونماذج سلوكية. وتتبدى في الواقع الاجتماعي فيما ينتجه فرد ما، أو جماعة، أو مجتمع ما من معارف وعلوم وفنون وعمارة، ونظم ومؤسسات، وما يمارسونه من عادات وطقوس وطرائق حياة.

وفي سياق الاستفهام عن الثقافة رجع المؤلف إلى عالم الاجتماع الفرنسي " بيير بورديو " ليؤكدا معاً أن النسق الثقافي لا يعكس ، ولا يمثل الواقع فقط ، بل إنه هو نفسه الذي يبني الواقع . فالأنسقة الثقافية عند بورديو هي بمثابة "رأس مال ثقافي" ويعني به أن الثقافة رأس مال ، كأي رأس مال آخر ، رأس المال الاجتماعي أو رأس المال الاقتصادي ؛ وهذا المفهوم لرأس المال الثقافي هو الذي مكن بيير بورديو من تفسير التفاوت الاجتماعي الطبقي في أي مجتمع.

ويمضي المؤلف في التحليل والنقد لإبراز العلاقة بين الأيديولوجية والثقافة ،معتبراً الأيديولوجية نسق من الأفكار والقيم والمعتقدات ونماذج السلوك ، يعبر عن مصالح ورؤى قوة اجتماعية معينة ، ويبرر مصالحها وسلوكياتها وهيمنتها.

انظر وصف " ماركس " للأيديولوجية...واختلاف " كارل مانهايم معه ... وتفسير " مراد وهبة " للعلاقة بين الأيديولوجية والثقافة ...

أما عن التربية وعلاقتها بالأيديولوجية والثقافة ، فيرى المؤلف أن التربية تمثل القاعدة الكلية للتكوين الاجتماعي في أي مجتمع، وهذا التكوين هو الرابط للعلاقة العضوية بين الأيديولوجيا والثقافة مستشهداً بفيلسوف التربية باولو فريري إذ يقول: "إن التربية سياسة ، كما أن السياسة تربية".

وهنا يعرض المؤلف رؤية " طه حسين " عن مستقبل الثقافة والتعليم في مصر باعتباره أحد رواد حركة التنوير في مصر ، والمنطقة العربية، ومعركته في التعليم في مواجهة أستاذ التربية والخبير التربوي " إسماعيل القباني " تلك المعركة التي أطلق عليها مؤرخو التربية في مصر "معركة الكم والكيف" وهو وسم ينطوي على تسطيح أبعاد المعركة، واستبعاد النضال الذي خاضه طه حسين " ضد الأيديولوجية الوضعية التقنية التي سادت في مصر منذ بداية تأسيس " إسماعيل القباني " للمعهد العالي للتربية عام 1929 م.

وقد أستنتج المؤلف من كتاب (مستقبل الثقافة في مصر) لطه حسين مغزى دعوته إلى ترقية الثقافة والديمقراطية والتعليم، باعتبارها ثلاثية أساسية في نشر التنوير وإعمال العقل.

وهذه الثلاثية تعزز ثلاثية مؤلف هذا الكتاب وهى الثقافة والتربية والأيديولوجيا التي تعد ركيزة أساسية أيضا للتنوير وإعمال العقل . حيث ثمة فجوة ثقافية بين نمطين من الثقافة : ثقافة تخلف يمتنع معها التقدم وتقاوم التغيير وتدعمه ، وثقافة تقدم تعلي من شأن العقل والعلم وقيم الإنتاج والعمل ، ومن هنا يحذر كثير من علماء الاجتماع الاقتصادي من تجاهل التغيير الثقافي في عمليات التنمية الاقتصادية، إذ إن جهد الاقتصاديين – وحده – في التنمية يمثل الجهد الأقل في تحقيق التقدم.

ويشير المؤلف أن ثمة فجوات ثقافية متعدد يئن منها الواقع ؛ لذا يرى أنه لا مخرج أمامنا إلا بانجاز تنمية شاملة تقوم على مثل التنوير ، وتنطلق من رؤية التنوير في بناء أركان حداثة متكاملة تغير من الواقع ؛ الثقافي والاجتماعي والاقتصادي في المجتمع ، وفيه تصبح التربية كقاعدة اجتماعية كلية في المجتمع هى محور الحركة في دعم التغيير في كل أبعاد التنمية بالمعنى الشامل لمُثل التنوير.

الفصل الثالث

إشكاليات إصلاح التعليم

استرعى المؤلف انتباهنا بالإشارة إلى أن معظم أدبيات الحداثة والتحديث والتغيير في البلاد الساعية إلى النمو والتقدم تربط دائما بين نماذج إصلاح التعليم بجهود التنمية ...

والسؤال الذي طرحه المؤلف: ما العلاقة بين التربية والتنمية؟

وأجاب بأنها ليست علاقة خطية سببية ؛ إذ إن التربية بمفهومها الشامل والتعليم كأحد أجهزتها أو مؤسساتها الرئيسة والمهمة إنما تتشكل علاقتها بالتنمية ، من خلال علاقتها الكلية بأنسقة الهيمنة الثقافية والأيديولوجية في المجتمع ، وتأسيساً على ذلك يقول المؤلف: إنه كيفما تكون بنية تفاعل الهيمنة الثقافية والأيديولوجية في أي مجتمع ، إنما تتشكل طبيعة أو نمط العلاقة بين التربية وبين التنمية في ذلك المجتمع، إما سلبا، أو إيجابا، أو شبه غائبة.

ويقول المؤلف: صحيح أن التعليم له علاقة بالاقتصاد والثقافة وقضايا العدالة الاجتماعية، إلا أن هذه العلاقة ليست سببية في كل الأحوال، ولعل كتاب الباحث السعودي عبد العزيز الجلال " تربية اليسر وتخلف التنمية " خير مثال على ذلك . والعكس صحيح أيضا ، فيمكن أن تتسارع جهود التنمية الاقتصادية والاجتماعية في المجتمع ويظل التعليم خاملاً غير متفاعل مع التنمية في المجتمع، بفعل عدم القدرة على القيام بإصلاحات جذرية فيه تخلصه من الثقافة المهيمنة عليه تاريخياً ، بل وعلى المجتمع ، ومشروع حياة كريمة في مصر يعد مثالاً على ذلك.

ويؤكد المؤلف على أن التربية في أي مجتمع هى الميدان الأول للصراع الاجتماعي وكل قوة من القوى تحاول أن تحسم صراعها بالسيطرة على ميدان التربية؛ ثم يتساءل عما هو نمط الهيمنة الثقافية والأيديولوجية على التعليم في مصر؟

وبحسب رأي المؤلف هناك أيديولوجيتان قويتان مهيمنتان على الواقع الثقافي إحداهما أيديولوجية وضعية تقنية تهيمن في مجالات العلم والبحث العلمي في العلوم الاجتماعية والتعليم كما تهيمن في مجالات سيسيولوجيا التنمية . أما الأيديولوجية الأخرى ، فهى أيديولوجية أصولية ... والأيديولوجيتان، متفاعلتان معاً ويتحقق ذلك

التفاعل بين الأيديولوجيتين من جهتين : الأولى من جهة ادعاء الأيديولوجية التقنية الحياد العلمي والموضوعية، وادعاء قدرتها الوضعية التقنية في الوصول إلى حقائق علمية scientific facts مجردة في البحث العلمي والتعليم ، وفي التنمية ، ومن ثم قدرتها على التعايش بحكم حيادها مع أي ثقافة، بل وأي نظام سياسي، وفي أي مجتمع . ومن جهة أخرى يتم التفاعل العضوي بين هاتين الأيديولوجيتين بحكم ما تشيعه الأيديولوجية الأصولية من أوهام امتلاك الحقيقة المطلقة، وقد أضّفت عليها القداسة التي تمكن أصحابها من اختراق الحياد العلمي الذي تزعمه الأيديولوجية الوضعية التقنية، هذا فضلا عن قدرتها في اختراقها الفعلي لواقع الفضاء الثقافي العام في المجتمع . وبحكم هذه الادعاءات لكل من الأيديولوجيتين ، أضحت الأيديولوجيتين تعملان معاً في الواقع الاجتماعي، بل ومتفاعلتين معاً في مراكز البحوث العلمية والتربوية بشكل خاص، بل والواقع الاجتماعي العام ، بل وأصبحتا معاً متفاعلتين في الممارسة الفكرية والعملية، في صنع هيمنة ثقافية تاريخية أجهضت كل محاولات النهضة أو ما يسمى بمحاولات تحديث مصر.

وقد أخذ المؤلف في توضيح الأيديولوجيتان بتحليل عميق مبينا أن الأيدلوجية التقنية تمتد بجذورها الفكرية إلى " البيردايم " الوظيفي البنيوي ... وقد ظلت رؤية البيردايم التقني مؤثرة في اتجاه خبراء التنمية منذ منتصف خمسينيات وعقد الستينيات من القرن العشرين ، وما زالت مهيمنة في كثير من البلاد العربية، وبالطبع تأثرت مصر الناصرية بهذه الموجة من التنمية، وإن كانت تحت شعارات أخرى ، شعارات ثورية اشتراكية.

ويؤكد المؤلف أن "تقرير التنمية البشرية في مصر 2021" الصادر عن وزارة التخطيط والتنمية الاقتصادية (مصر) بالمشاركة مع برنامج الأمم المتحدة الإنمائي UNDP كان امتدادا واضحا لوثيقة " إستراتيجية التنمية المستدامة : رؤية مصر 2030 " وهذه الوثيقة رغم ما توافر لها من مفكرين كبار ، وما بذل في إعدادها من جهود عالية الدقة ، قد وقعت هى الأخرى في فخ الأيديولوجية التقنية الوضعية ... ويواصل المؤلف تحليله ونقده العلمي لما جاء في رؤية مصر 2030 ، التي أصبحت قاعدة لانطلاق العمل الوطني في صناعة السياسات التنموية ، بل إنها أصبحت خريطة العمل في لجنة الحوار الوطني أيضاً في مصر . وقد حددت وثيقة مصر 2030 مجالات التنمية في ثلاثة مجالات رئيسة:

المجال الاقتصادي ، والمجال البيئي ، والمجال الاجتماعي.

أما الأيديولوجية الأصولية ودورها في التعليم والتنمية، وعلاقتها بالأيديولوجية التقنية الوضعية ، تروج الآن على ألسنة التنظيمات الأصولية الدينية بكل تنوعاتها وتشيع التطرف والإرهاب في البلاد ... وها هى كتب ابن رشد (1126- 1198) قد أحرقت فسار الظلام من بغداد في الشرق إلى قرطبة في الغرب . وانتقلت فلسفة ابن سينا (980- 1037) ، وابن رشد إلى الغرب في القرن الثالث عشر ... تاريخ طويل لا يجوز تبسيطه بل يجب أن يقرأ ويفهم بتمعن من الكتاب ذاته.

ثم أخذنا المؤلف نحو الإشكاليات الأساسية الكامنة في نظام التعليم والمدرسة في مصر والتي أفرزتها الهيمنة الثقافية والأيديولوجية معنونا إياها على النحو التالي:

- **إشكالية المنهج الخفي في التعليم في مصر.**
- **إشكالية مركزية نظام التعليم وتهميش المدرسة.**
- **إشكالية تخلف البنية الثقافية والاجتماعية للمدرسة.**
- **إشكالية إدخال كتب جديدة بمحتوى معرفي جديد.**
- **إشكالية التابلت.**

أما الشرح والتحليل والنقد فيصعب تبسيطه ويجب الرجوع إلى الكتاب الذي أحاول تقديمه لسيادتكم.

واختتم المؤلف هذا الفصل الكبير – الذي استغرق وحده حوالي خمسة وخمسون صفحة – بالاستفهام عن الإجراءات التي يجب أن نقوم بها، أو نستند إليها لتجاوز التناقضات والهيمنة الثقافية الكامنة في بنية النظام التعليمي في مصر التي تعوق مسار الإصلاح وكيف؟

الفصل الرابع

المرتكزات الأساسية في إصلاح التعليم

نسق ثقافي مغاير:

أكد المؤلف خلال الفصول السابق ذكرها أن لفظ التربية ولفظ التنمية ليستا من الألفاظ كلية المعنى والدلالة. فإن أي لفظ من اللفظين (التربية والتنمية) لا يشير إلى معنى مجرد عما يعيش فيه من أنسقة الشروط التاريخية الموضوعية الثقافية والأيديولوجية التي أحدثتها وتعيد إنتاجها ، وبناء عليه يسأل : أي تعليم نريده ، وتحت أي الشروط يصبح كياناً فاعلاً في دعم عملية التنمية ، والتفاعل إيجابياً في دفع عجلة التقدم في مصر . حتى يمكن أن نقول إن كل تعليم تنوير، ومن ثم يصبح كل تعليم تنمية ، وكل تنمية تعليما ، بالمعنى التاريخي الصحيح ... ويسأل كذلك .. ما العمل إذن ؟ والجواب في هذا الفصل الذي تعدت صفحاته الخمسين تحدث فيها عن ضرورة التنوير للتخلص من هيمنة الثقافة المتخلفة ، فمصر الآن تخوض بضراوة معركتين؛ الأولى " معركة وجود " في مواجهة الإرهاب الأسود ، والثانية "معركة تقدم".

وإذا كان التنوير يتطلب إحداث تغيير ... فما مرتكزات النسق المنشود للتغيير؟

وبحسب رأي المؤلف هناك خمسة مرتكزات أساسية على الأقل يجب أن تتوافر على نحو متكامل ، كشرط ضروري؛ ليقوم عليها ومن خلالها ، فعل التغيير؛ لبناء نسق ثقافي مغاير للتعليم والمجتمع.

الركيزة الأولى: البيداجوجيا النقدية، إعمال العقل والتفكير والممارسة والإبداع.

الركيزة الثانية: الإدارة المتمركزة على المدرسة ولا مركزية المدرسة ، واعتبار المدرسة هى وحدة الفعل الأول في التطوير.

الركيزة الثالثة: إعداد المعلم المتفكر الممارس الباحث وتمكينه من خلال تنمية مهنية نقدية مستدامة.

الركيزة الرابعة: مأسسة العلاقة بين المدرسة والجامعة وكليات التربية.

الركيزة الخامسة: إعداد قيادات تربوية مستنيرة عالية الكفاءة وتأسيس كتلة حرجة Critical Mass من كوادر التغيير المدربة سياسياً وتربوياً تدريباً عالياً والمؤمنة برسالة التنوير والتغيير في النظام التعليمي.

الفصل الخامس

أوهام وأساطير الدعوة

إلى التعليم الفني قبل الجامعي

استهل المؤلف هذا الفصل بقول "دون آدم" أستاذ التنمية والتربية المقارنة، جامعة بتسبرج: "لا يدعو إلى التعليم الفني الثانوي أو التوسع فيه، إلا هؤلاء الذين لا يضار أبناؤهم من هذا النوع من التعليم " ونستنتج من هذا الاستهلال وما سبقه في العنوان بكلمتي " أوهام وأساطير "أن للمؤلف موقف من هذا النوع من التعليم...إلخ.

ثم فند وحلل ونقد ما تضمنه هذا الفصل ، فيما يزيد عن سبعين صفحة اشتملت على أفكار وعناوين من بينها؛ الأجزاء الستة التالية:

أولاً : نشأة الاهتمام بالتعليم الفني/ المهني، ومبرراته.

ثانياً: تفنيد المبررات وكشف الأوهام والأساطير في أيديولوجية التعليم الفني .

ثالثاً: لماذا تظل الأيديولوجية الداعية إلى التعليم الفني مهيمنة على حركة الفكر والإصلاح التربوي ، ليس في مصر فقط ، بل في معظم بلاد العالم النامي؟

رابعاً: التخلص من أوهام أيديولوجية التعليم الثانوي الفني.

خامساً: التعليم الفني في مصر 2020، وأسطورة التوزيع الاعتدالي لدرجات التلاميذ.

سادساً: ما العمل للخروج من أوهام وأساطير التعليم الفني.

وبحسب رأي المؤلف فإن فهم طبيعة قوى الإنتاج الجديدة – كثيف المعرفة – في ضوء ما تم استخلاصه سابقاً يجعلنا نؤكد أن الاحتمال الأكبر في المستقبل سيكون لصالح التربية الأكاديمية المتسعة للشباب التي تشمل فهم العمل والطبيعة والمجتمع، وتشتمل على اختيارات من الآداب ، والإنسانيات ، وعلوم الطبيعة ، وعلوم المجتمع، والفنون ...الخ

فالمعرفة كل متكامل، وتشمل كل الإبداعات البشرية التي تشكل الحضارة الإنسانية...

والتربية التي تقوم على المعرفة المتكاملة بهذا المعنى ارتبطت في الفكر التربوي بصفة عامة، والفكر التربوي اللبرالي بصفة خاصة بمعنى تنمية المتعلم – تنمية كل جوانب شخصيته إنسانيا – ليكون أكثر قدرة على إعمال العقل والتعامل مع كل مقتضيات الحياة وصنع المستقبل قادراً على التفكير الناقد والتجديد والإبداع ، وهناك فرق كبير بين هذا المعنى التنموي والإصلاحي للتربية ، والمعنى الضيق للتربية الذي يراه الاقتصاديون الذي ينحصر في المعنى الوظيفي للتربية باعتبارها وسيلة لإعداد القوى العاملة في الحياة الاقتصادية ؛ لأداء أعمال معينة في ترس الاقتصاد.

واختتم المؤلف هذا الفصل بالتأكيد على ضرورة تحقيق النقاط السته الآتية في سياسة ناجزه لإصلاح التعليم في مصر.

1- إلغاء التشعيب، القائم الآن في مرحلة التعليم الثانوي، بين تعليم ثانوي عام وتعليم فني أو مهني.

2- التوسع في التعليم الثانوي والاتجاه إلى الاستيعاب الكامل في التعليم الثانوي العام وإتاحته للجميع.

3- التركيز في برامج مرحلة التعليم الثانوي العام والشامل على مواد العلوم والرياضيات واللغات الأجنبية إلى جانب اللغة العربية والفلسفة وعلوم الأرض والفضاء وعلوم الاجتماع والسياسة والفنون والآداب والموسيقى والتربية الرياضية والصحة العامة.

4- تأجيل التعليم المهني بكامله إلى ما بعد المرحلة الثانوية ، ليكون موقعها في مناهج معاهد التعليم العالي أو كليات المجتمع التي يجب أن نأخذ بها، أو في الجامعات، أو كليات وجامعات التكنولوجيا التي بدأت في تأسيسها وزارة التعليم العالي.

5- قد تحكم الظروف وجود مسار من التعليم الفني في أضيق الحدود لإتاحة مزيد من الفرص البديلة التصحيحية أمام طلاب تضطرهم الظروف بسبب أوضاع أكاديمية أو اجتماعية.

6- ضرورة التفكير الجدي في إنشاء والتوسع في إنشاء التعليم غير الرسمي، خارج المدرسة وخارج الجامعة بحيث يقدم برامج تعليمية وتدريبية سواءً كان موازيا للتعليم الثانوي أم التعليم العالي.

الفصل السادس

الديمقراطية عند مراد وهبة

ومضمونها في التربية

الفيلسوف مراد وهبة، أستاذ الفلسفة في جامعة عين شمس وعضو في مجموعة من الأكاديميات والمنظمات الدولية المرموقة، ورئيس الجمعية الدولية لابن رشد والتنوير عام 1994، اسمه مذكور في موسوعة الشخصيات العالمية؛ إذ يعد من بين ال 500 شخصية الأكثر شهرة في العالم.

ويناقش المؤلف في هذا الفصل نظرية مراد وهبه عن " رباعية الديمقراطية " وإشكالية الديمقراطية ومضمون الديمقراطية في التربية، والسؤال الرئيس في تلك القضية هو : أي تربية هذه تلزم عن الديمقراطية في رباعية مراد وهبة ؟ وقد استغرق التحليل والنقد لكتاب أ.د/ مراد وهبة "رباعية الديمقراطية" الصادر عام 2011 صفحات هذا الفصل.

الفصل السابع

النسق النقدي الديمقراطي

وإعادة بناء قيم حجرة الدراسة

فكرة محورية بدأها المؤلف في مستهل هذا الفصل تدور حول أهمية النسق النقدي الديمقراطي في حجرة الدراسة في تشكيل وتنمية الشخصية الواعية الناقدة ، وهى ذات بعدين أولهما: يدور حول ضرورة إعادة بناء الإطار المفاهيمي لمنظومة القيم داخل حجرة الدراسة ، وثانيهما : فيدور حول أهمية النسق الثقافي الاجتماعي التربوي داخل حجرة الدراسة ... وبناءً عليه أتى هذا الفصل لتوضيح الأسس النظرية في أربعة أجزاء رئيسة هى:

- النسق (النظام) الثقافي الاجتماعي وتأثيره في تشكيل الشخصية.
- منظومة القيم الأساسية في حجرة الدراسة.
- واقع النسق الثقافي الاجتماعي التربوي في مصر.
- بناء النسق النقدي الديمقراطي لتصحيح التشوهات وتجاوز التناقضات الحادثة بين قيم حجرة الدراسة.

ويسأل المؤلف .. كيف نربي هذه الشخصية التي تواكب المتغيرات العالمية والمحلية؟

وما دام الموضوع خاص بالشخصية فقد رجع المؤلف إلى مدرستين فكريتين أساسيتين هما : المدرسة السلوكية في علم النفس ، والمدرسة الفرويدية في علم النفس أيضاً ، وخلص إلى أن كل مدرسة من هاتين المدرستين ، ركزت على جانب واحد وقدمت تفسيراً أحادياً حتمياً .....الخ.

ثم سأل عما يعنيه بالنظام الاجتماعي، والفعل الاجتماعي وعلاقة التأثير بينهما.

أما منظومة القيم في حجرة الدراسة فقد حددها في قيم : التنافس، والفردية، والمسايرة، والطاعة، والتعاون مشيراً إلى أن بنية هذه المنظومة ، قد تختلف من مجتمع لآخر وفقاً للسياق أو النظام الاجتماعي الثقافي الذي تتم فيه عملية التفاعل.

وبعد أن عرض المؤلف ما يعنيه بكل قيمة من القيم الخمس سابقة الذكر ، قام بعقد مقارنة بينهم لبيان التناقضات الإيجابية والسلبية.

أما واقع النسق التربوي في مصر فقد كشف المؤلف عن ثلاث خصائص مهمة لهذا النسق تمثلت في بنية سوسيولوجية بيروقراطية مشوهة ، وبنية إبستمولوجية مغلقة وعلاقات تربوية قاهرة، وقيم مشوهة، وقد فصّل المؤلف هذه الخصائص تفصيلاً رائعاً يتطلب القراءة .

وسأل المؤلف عن إمكانية خلق نسق نقدي ديمقراطي في مقابل النسق الثقافي الماضوي والنسق الاجتماعي الاستبدادي القهري ... وقد أجاب بنعم ... وعرض رأيه بوضوح ، ثم اختتم هذا الفصل بعقد مقارنة بين المدرسة التقليدية والمدرسة الديمقراطية .

الفصل الثامن

التنمية الثقافية والتنوير

مدخل إلى محو الأمية

رؤية نقدية

أربعة أسئلة أستهل بها المؤلف هذا الفصل وذلك على النحو التالي:

- **ما التنمية الثقافية، وفي أي اتجاه نريد، وكيف؟**
- **ما التنوير، وما ضرورته بوصفه هدفاً قومياً ننشده؟**
- **أي محو أمية نقصده، ونسعى إليه، وكيف؟**
- **ما العلاقة بين التنمية الثقافية، والتنوير، ومحو الأمية؟**

وقد ناقش المؤلف هذه الأسئلة في تسع وخمسين صفحة مؤكداً أن مكمن الخطورة في الأمية ويسأل ماذا تعني الأمية في وطن يعيش ما يقرب من ربع أو نصف أبنائه أو يزيد محرومين من نعمة القراءة والكتابة ومعرفة الحساب؟

أي أن نصف المجتمع يعيش ثقافة المشافهة ...إلخ.

ثم حلل التطور التاريخي لمعاني ومفاهيم التنمية ، موضحا ثلاث مراحل أساسية لجهود العالم الثالث وكفاحه في مسعى التنمية:

المرحلة الأولى: هى الفترة التي تمتد من نهاية الخمسينيات حتى نهاية الستينيات .

المرحلة الثانية: هى التي تمتد من نهاية الستينيات حتى نهاية السبعينيات .

المرحلة الثالثة: فهى المرحلة التي نعيشها منذ نهاية السبعينيات ، ولم يعلن أحد نهايتها بعد

ويؤكد المؤلف أن التنمية الثقافية هى المدخل الصحيح للتعامل مع محو الأمية ، وأن الأمية هى إحدى عقبات التنمية الثقافية نفسها.

والتنوير هو الحل... التنوير هو شجاعة إعمال العقل ... ومحو الأمية يقع في القلب من التنوير ؛ تماماً كما يقع التنوير في القلب من التنمية الثقافية ، وكما تقع التنمية الثقافية في القلب من عملية التنمية والنهضة الاجتماعية، والإنسان في القلب من كل فكر وتصور . فالإنسان مقياس كل شيء.

وأختتم المؤلف هذا الفصل بالأسئلة التالية :

- **ما الهدف إذن من محو الأمية؟**
- **ما طبيعة البيداجوجيا النقدية؟**
- **ما الذي نريده من المعلم؟**
- **ماذا عن برامج التنفيذ، وكيف؟**

ثم عرض هذه الكيفية في ثمانية أفكار قابلة للتنفيذ في الكتاب الذي بين أيدينا.

الفصل التاسع

مكافحة عمل الأطفال

قدم المؤلف لهذا الفصل بالسؤال التالي : هل كان عام 2021 هو عام القضاء على عمالة الأطفال ؟ باعتبار أن أحد أهداف التنمية المستدامة 2030 SDG.s هو " إنهاء كل أشكال ظاهرة عمل الأطفال (هدف 8.7) عام 2025 " وأعقبه بسؤال آخر ، عن ماذا حدث لهذا الهدف على المستوى العالمي ؟ ... فكانت الإجابة: كان أملاً لم يتحقق، بل زاد عدد الأطفال العاملين ... لماذا؟

وأخذ المؤلف في الإجابة عن (لماذا؟) متطرقاً إلى ما أوضحه تقرير " منظمة العمل الدولية واليونيسيف " يونيه 2021 أن عدد الأطفال العاملين في الفئات العمرية المختلفة في ازدياد ، وقد كشف عن أسباب ذلك بالتحليل والنقد....إلخ.

وأعقب ذلك بسؤال: ماذا عن واقع بيئة العنف والتخلف الثقافي ، في بلاد المنطقة العربية التي أفرزت ما يقرب من 15 مليون طفل عامل؟

وأجاب المؤلف بعد أن رجع إلى تقرير منظمة العمل العربية (2020) محللاً عوامل وركائز التخلف الحاضنة للعنف ضد الطفل والمرأة .. ومشيراً إلى أن معظم المنظمات العالمية من حولنا لم تقدم لنا سوى "روشتات" لا تشفي بل تزيد من أمراض التخلف ، واستشهد بأمثلة كثيرة ، عرض منها نموذجين:

الأول: ويتمثل في الخطوات الإجرائية التي قدمها الاتحاد الأوروبي ، لمكافحة عمل الأطفال .

الثاني : رؤية الأمم المتحدة، الإسكوا : تقرير التنمية الاجتماعية الثالث (2019) بعنوان: **عدم إهمال أحد، وإدماج الفئات المهمشة في بعض البلدان العربية.**

وبعد تحليل ونقد هذين النموذجين ، دعا المؤلف أن نبدأ بالإصلاح ، بداية من التنوير وبناء ثقافة التقدم، حتى يمكن بناء مجتمع إنساني متقدم لا مجال فيه لعمل الأطفال ، والعنف ضد المرأة.

ثم عرض ركائز الإصلاح محدداً إياها في الخطوات الثلاثة التالية:

1- **نشر التعليم والتنوير.**

2- **تنمية البيئات المحلية كاستراتيجية لإعادة بناء الثقافة.**

3- **بناء مفهوم للعدالة الاجتماعية يشمل مُثل التنوير والمواطنة.**

وينهي المؤلف هذا الفصل قائلاً: "مطلوب في العقد الثالث من القرن الواحد والعشرين أن يعي العالم إنسانيته ويتوقف الآن قبل باكر عن فرط التسليح، وفرط الحروب، وفرط الصرف على المؤامرات الاستخبارية المنتشرة في أنحاء العالم التي تروع الآمنين وتقضُ مضاجع الضعفاء وتشرد الأطفال، وتزيد الجياع جوعاً والعراة عرياً ، إن هذه الأموال التي تصرف على الحروب والتسليح والأنشطة الاستخباراتية كفيلة بإنقاذ العالم من الفقر والأزمات الصحية والاجتماعية".

الخاتمة

الخلاص من الهيمنة

التنوير نسق ثقافي مغاير

بهذا العنوان اختتم المؤلف كتابه الموسوعي الجديد" **نقد الأيديولوجيا في التعليم والمجتمع** بقوله: "إن التقدم نهضة دينامية مستمرة في مسيرة رقي وتطور حضارة كونية ، قادرة على أن تستوعب ثورات العلم والتكنولوجيات المتقدمة في إطار إنساني، يحفظ للإنسانية تقدمها ورقيها، وسلام العالم.

التنوير نسق ثقافي مغاير:

عزيزي القارئ لا أدعي أنني وفيت حق القراءة لك ... فالكتاب ضخم الحجم متعدد الفصول ثري المعاني فيه جدة وأصالة مدهشة تضع القارئ – رغما عنه – في إطار بالغ التشويق والإثارة ، وحالي وموقفي من هذا الكتاب الرائع أشبه بمن لا يملك إلا منديلاً ويريد أن يغطي به فيلاً .

أ.د/ السعيد محمد رشاد محمد

أستاذ متفرغ بقسم أصول التربية جامعة حلوان

فبراير 2025